في القاهرة مذكرة، في ٣٠ نيسان (ابريل)، الى وزير الخارجية المصرية تيجران باشا، أبلغ اليه فيها انه لا يمكن حدوث اي تغيّر في العلاقات بين مصر والباب العالي دون موافقة الحكومة البريطانية. وأضاف ان برقية الصدر الأعظم تجعل من الواضح ان شبه جزيرة سيناء، وهي الأراضي المحددة من الشرق بخط يسير في اتجاه جنوب ـ شرقي من نقطة قريبة من شرق العريش الى رأس خليج العقبة، سوف تظل تحت الادارة المصرية(١٦).

مشروع صهيوني لاستعمار سيناء والعريش

تحوّلت مصر، منذ الاحتلال البريطاني العام ١٨٨٢، الى احدى أهمّ المستعمرات البريطانية، وانْ ظلت، شكلياً، ضمن الامبراطورية العثمانية. وسعى البريطانيون الى استخدام اراضي مصر، ومواردها البشرية والمادية، الى تجزئة افريقيا والاستحواذ على المستعمرات في مواجهة منافسة كل من فرنسا وألمانيا وايطاليا. كما أسرع المستعمرون البريطانيون، بعد غزو مصر، الى الاستيلاء على السودان، بغية السيطرة على منابع النيل، والوصول الى حدود أثيوبيا وأوغندا، واخضاع الساحل الغربي للبحر الأحمر، وتوسيع نفوذهم في شبه الجزيرة العربية. وثبت ان الدبلوماسية البريطانية، في الفترة تلك (١٨٩٥)، كانت تمارس إعداد اجراءات جدية تستهدف ضمّ الحجاز الى مصر، وتأسيس خلافة مصرية تواجه تركيا(١٧).

وهكذا، كانت لمصر أهمية اقتصادية، واستراتيجية، وسياسية، هائلة بالنسبة الى الاستعمار البريطاني. وللحفاظ عليها، دخلت بريطانيا في مفاوضات مع روسيا والمانيا لاقتسام الامبراطورية العثمانية، على ان تكون المنطقة العربية من نصيب بريطانيا. وعندما رفضت روسيا والمانيا ذلك، اتجهت بريطانيا الى فرنسا، وازداد الصراع والتنافس بين بريطانيا والمانيا حول المنطقة العربية، ولم تكن روسيا وفرنسا وايطاليا بعيدة ممّا يدور.

كانت المرحلة تلك من مراحل الاستعمار مرتبطة بالراسمالية الصناعية ـ المصرفية، وكانت لخدمة بعض طبقات المجتمع وفئاته من طريق فتح الأسواق لبضائعها وبغرض الاستثمار لرأسمالها الفائض، والبحث عن المواد الخام للصناعة. كما كان أحد الأهداف الأساسية للاستعمار، في تلك الفترة، الحصول على مستعمرات لتستوعب الفائض السكاني، ولتكوّن بعداً استراتيجياً للوطن الأم، الأمر الذي استفادت منه الصهيونية، خصوصاً ان الدول الاوروبية كانت بدأت تتنافس، بحدة، فيما بينها لاحتكار الأسواق، وقد كانت مصر وفلسطين ـ وهما تكوّنان وحدة جغرافية وتاريخية واحدة ـ المدخل لهذا المسرح الجديد؛ وساعد على التركيز عليها، وعلى المنطقة العربية كلها، الانهيار التدريجي للامبراطورية العثمانية، التي تحوّلت الى رجل أوروبا المريض الذي كان الجميع يترقبون نهايته للاستيلاء على تركته، وكانت فلسطين، ذات الأهمية الدينية والاستراتيجية، تقع في قلب هذه الامبراطورية المتداعية(١٨).

وجدت الدعوات الصهيونية آذاناً مصغية، بين المضطهدين من اليهود في اوروبا وروسيا، الذين شكلوا جمعيات للهجرة، وجدت من ينفق على عملية الهجرة من الأثرياء اليهود. وكانت فلسطين أحد أهداف المهاجرين، خاصة الذين يعيشون في حلمهم الديني. ومع تسلل المهاجرين اليهود الى فلسطين، منذ بداية الثمانينات من القرن الماضي، بُدىء باقامة المستوطنات اليهودية، وبتنسيق عمليات الاستيطان الصهيوني في فلسطين. لكن الصهيونية، في تلك الفترة، لم يكن اشتد عودها بعد، ولم يكن لها تنظيم واحد وزعيم واحد، بل كانت في مرحلة التكوين التي تناولتها الخلافات الدينية